

# تقديم

إبراهيم أبو الهيجا

## نقدم

في هذا الكتيّب زبدة المواد التعليميّة التي رافقت دورة "تدريب المدربين" ضمن مشروع "دفيئة المبادرات التربوية" والذي امتدّ على مرّ ثلاث سنوات. ورغم أنّنا قد استعملنا مصطلحات سائدة لكي نشير إلى ماهيّة المشروع، إلا أن اسم المشروع "الدفيئة" يشير إلى أن المشروع بجوهره وتوجهه كان تجريبياً، فقد تمّت صياغة هذا المشروع وبلورته ليكون "دفيئة" نعيد من خلالها النّظر في مفهوم التّدريب كسيرورة تعليميّة، من ناحية، وإلى اعتماد آليات البحث الإجماليّ للاستقصاء في ممارسات المشاركات والمشاركين بهدف بلورة مفاهيم جديدة وسياقات عمل لوكلاء التغيير الاجتماعي. إن وجود "دفيئة" تمّو فيها المبادرات والممارسات الريادية وتعتمد على مفاهيم جديدة، تشكّل، من ناحيتنا، تمّة للكتيّب الذي أصدره طاقم الباحثين ضمن مشروع "الدفيئة" تحت عنوان "الحيز الاجتماعي كأداة لبناء شراكة". ففي حين كان الكتيّب الأول يتمحور حول استعراض مفهوم الحيز التعليمي المشارك كآلية للعمل بين المؤسسات الشريكة، فإن الكتيّب الثاني الذي بين أيديكم يتمحور حول الخلفية النظرية التي ارتكزت عليها "الدفيئة" وتبلورت من خلالها، من ناحية، وفي مسألة توصيف السّيرورة التعليميّة وآلياتها.

بناء عليه، فإنه من المهم أن نشير في بداية هذا الكتيّب إلى أنّنا سنقوم باستخدام مصطلحات بديلة عن المصطلحات السائدة في مجال التّدريب تحديداً ومجال التعليم عامةً. إنّنا نذكّر عبر "الدفيئة"، بالأحرى، بأن التّدريب ما هو إلا سيرورة تعليميّة، وعليه فإننا سنستعمل في هذا الكتيّب مصطلح "السّيرورة التعليميّة" بدلا من

1. دورة "تدريب المدربين" Training of Trainers هي دورة صممت لعشرة مهنيين فلسطينيين من المؤسسات الشريكة بدأت في تموز 2013 وانتهت فعلياً بحفل تخرج تلخيصي بايار 2016. لمزيد من التفاصيل يمكن الاطلاع على موقع جمعية مسار - مركز للتربية: <http://masar-edu.org/minisite/>

”التدريب“ لنؤكد ولنشير إلى جوهر دورة ”تدريب المدربين“ بشقيها ”النظري“ و”التطبيقي“. إن هذا الكتيب، بالتالي، لا يشكّل منهجاً جديداً ولا توثيقاً دقيقاً لجمل الدورة، وإنما هو تلخيص للفكر الريادي والآليات التي تم تناولها والتداول فيها خلال السيرة التعليمية. وقد شكّل أمامنا تحدياً كبيراً بالتالي. فهل من الممكن أن نجمل سيرة تعليمية طويلة داخل كتيب؟ وما هي المواد التعليمية التي سنعرضها للقارئ؟ وكيف ستم عملية الاختيار والتصنيف؟ هذا النوع من الأسئلة يصبح مركباً عندما نتحدث عن كاتبين مختلفين عايشاً أجواء ”الدقيقة“ من وجهتي نظر مختلفتين ومتشابهتين في الوقت ذاته. فالدور والوظائفية مختلفين ولكن المفاهيم والتوجهات متشابهة.

باعتبار أحدهما مشرفاً على المشروع الذي رافق السيرة التعليمية وتحديداً في الجانب النظري منها، والأخرى مديرة المشروع الذي كانت شريكة فيه، ومن ثم انتقلت لترافق السيرة بشكل مكثف في القسم التطبيقي منها. ولكن، وبسبب عملنا، منذ بداية المشروع ضمن مفاهيم المشروع، من خلال حيز تعليمي مشترك، نجحنا من خلاله في أن نصهر المعلومات والمعطيات التي شاركتُ بها كمشرف على المشروع وتلك التي شاركتُ بها زميلتي كمديرة المشروع. وإعداد هذا الكتيب شكل بحد ذاته نموذجاً للعمل ضمن مفاهيم الحيز التعليمي المشترك حيث استعملنا خلاله آليات البحث الإجمالي لنحدد من خلالها التحديات ونبور منها الحلول، لنضع بين يدي القارئ في نهاية المطاف هذا المنتج آملياً أن يشكّل بالأساس محفزاً للخوض في تجارب جديدة، والبحث في المفاهيم البديلة المطروحة هنا.

هذا الكتيب من ناحيتنا، إذناً، لا يشكّل وصفاً محددة وواضحة لطريق جديد وآليات بديلة، وإنما قد جاء ليطرح الأسئلة حول ما اعتبرناه مفهوماً ضمنياً وليعرض أسئلة حول ما اعتبرناه جديداً وبديلاً، ولربما لكي نرسم الطريق التي سلكناها في طريقنا للبحث عن مسار جديد وسيقاق عمل آخر.

لقد تطلّب منا الأمر أن نحدد بشكل واضح سياق هذا الكتيب، وهو بدون اية شك يجب أن يعكس جوهر وروح ”الدقيقة“، وأن يحوي بالتالي الجزء النظري الذي يفكك المنظومة السائدة، ويعرض ”البدائل“ من خلال عرض المفاهيم والآليات. واخيراً كان لا بد أن نعرض كيف كان من الممكن أن تُمارس هذه المفاهيم الجديدة على أرض الواقع من خلال مبادرات تعليمية كانت مؤشراً على كون ”الدقيقة“ مستدامة على مستويي الجوهر والممارسة.

حتى ننجز هذه المهمة كان لا بد لنا أن نحدد آليات العمل ونوزع المهمات الكتابية بشكل ناجع يلائم اهتماماتنا وقدراتنا وخلفياتنا، وعلى جميع الأحوال، فقد قمنا بتبادل الأدوار غالباً، فقد كنتُ حيناً الكاتب، وكانت زميلتي هي المحررة، وفي أحيان

أخرى كانت هي الكاتبة وأنا المحرر، وقد تبادلنا الكتابات ومراجعتها والحديث عنها بشكل دائم، لنعيد الصياغة، والحديث حولها إلى أن اتفقنا في نهاية المطاف على إصدارها.

انعكست هذه الحالة على مبنى الكتيّب ومن خلال فصوله حيث نعالج بدايةً الجانب النظري لنهني بممارسات في الحقل نستعرضها من خلال نماذج عمل ريادية تمت بروح الفكر الريادي للدفيئة. فالفصل الأول وهو تحت عنوان "المنظومة الفكرية - التربية والتعليم بين السائد والبديل" يشكل مادة نظرية خاصة تناقش مفهوم المنظومة الفكرية عامة. وقد حاولت أيضاً أن أعرض من خلاله فكرة التصنيف المعاصرة كما جاءت في السياق الأكاديمي الغربي. أما الفصل الثاني فهو بقلم رفيق الدرب والمعلم الفلسطيني الكبير د. منير فاشة . ويشمل هذا الفصل خلاصة فكره الناقد تجاه المنظومة الفكرية التربوية السائدة والتي يطلق عليها منظومة "القبيلة الأوروبية". ويذكر فاشة من خلالها بالمفاهيم والمصطلحات التي نمت وعاشت في الثقافة العربية وفيها "العافية والحكمة" للأجيال القادمة. وقد شاركنا د. منير فاشة بهذه الأفكار المثيرة في مرحلتين خلال هذا المشروع: فالمرحلة الأولى كانت ضمن مؤتمر "الحيز التعليمي الآمن" والذي عقد في فرانكفورت ألمانيا، أما المرحلة الثانية فقد كانت ضمن سلسلة من المحاضرات للطلاب والمعلمين والناشطين ببنية سنة 2016.

الفصل الثالث من هذا الكتيّب هو تلخيص لطريقة التعليم ضمن فكر النظام المفتوح والذي اتبعناه كأبنة عمل في سيرورة التعليم في "الدفيئة". يشكل هذا الفصل من وجهة نظرنا تلخيصاً لسيرورة التعليم الريادية التي تمت ممارستها في المشروع والتي تشكل انعكاساً للمنظومة الفكرية التي استعرضناها في الفصل الأول.

أما الفصل الرابع فهو تجميع للآليات البديلة التي استعملناها وتعلمنا عنها خلال السيرورة وقد اخترنا أن نقدم للقارئ آليات عملية ممكن استعمالها. نفتتح القسم بتعريف بسيط قدر الإمكان للبحث الإجرائي والذي يقدمه لنا المستشار الأكاديمي والباحث الرئيسي في الدفيئة البروفيسور فيكتور ج. فريدمان. ومن ثم نقوم باستعراض آليات تستعمل عادة من قبل باحثين إجرائيين، وهي صياغة جديدة تمت ملاءمتها للمشروع بشكل خاص، وهي بالتالي ليست نماذجاً جامدة، بل هي مرنة وقابلة للتعديل بناءً على أهداف المجموعة المتعلمة.

أما الفصل الخامس فقد تم إعداده على يد مديرة المشروع ليؤكد على تطوير مواد ومبادرات تعليمية مستدامة تعتمد على المصطلحات التي تحدثنا عنها في "الدفيئة" والتي تم ممارستها خلال سيرورة التعليم "تدريب المديرين". يعرض هذا الفصل لنا

مجموعة من المبادرات التي تعكس تأثير الدفينة إما بشكل مباشر كونها تمت بقيادة واحدة من المشاركات في دورة "تدريب المدربين"، وإما عبر تأثير المشروع غير المباشر عبر ثقافة العمل في المؤسسة التي قادت "الدفينة"، مسار - مركز للتربية. تمت سيرورة تحضير هذا الفصل بشكل بحثي من خلال مقابلات وُثقت من خلالها قصة المبادرة وجوهرها، ومن ثم تم صياغتها لتتحدث بلغة ومفاهيم الكتيّب، ومن ثم قامت بالتعريح على المبادرات والمشاركات ليم صياغتها بالشكل الذي نعرضه في الكتيّب. هذا الفصل يعرض أمامنا نماذجاً من الممكن تطويرها لكي تناسب أطر عمل أخرى.

يعرض الفصل السادس أمامنا آليّة جديدة للنشر ومشاركة الحيّز العام في ثقافة التغيير وتعميق المبادرات وهي آليّة ريادةيّة استعملتها "الدفينة" لعرض المبادرات التي أنتجت مع نهاية سيرورة التعلم. لقد تم إعداد الفصل على يد مديرة المشروع وهي التي قادت معرض المبادرات التربويّة وبالتالي فهو يشكل وثيقة للمعرض ونموذج عمل ممكن أيضاً اعتماده وتطويره.

تباعاً لما ذكرنا في مقدمة "الحيّز الاجتماعي كأداة لبناء شراكة" فأنتنا نشدد هنا أيضاً بان هذا الكتيّب هو بالأساس دعوة لتوليد حوار أوسع ومستمر حول ضرورة تفكيك المنظومة التعليميّة السائدة والإشارة إلى اسقاطاتها على التغيير الاجتماعي، من ناحية، والبحث في المفاهيم والآليات التي طرحت في "الدفينة" من خلال بناء مشاريع ريادةيّة مستقبليّة.